١ - نسب السيد جمال الدين ومولده

من المحقق أن جد فيلسوف الإسلام الأعظم السيد جمال الدين - قدس الله سره العزيز - قد توطن في أسد آباد منذ سنة ٦٧٣ هـ . وقد عرفت أسماء آبائه وأجداده خلفا بعد سلف ونسلا بعد نسل من بعض الكتابات الموجودة ، وخصوصا من ألواح قبور أجداده التي تقع بجوار قبر الإمام زاده[١] أحمد في حي سيدان (السادة) القريب من منزل أبي السيد وأجداده منذ سنة ٦٨٢ إلى يومنا هذا ، أي ما يقرب من أربعمائة وسبع وسبعين سنة[٢] .

● تمثل هذه الصورة منزل اسرة فيلسوف إيران الكبير السيد جمال الدين الأسد آبادي في حي سيدان (أي السادة) جوار ضريح الشريف أحمد (أو أحمد ابن الإمام) وأجداد السيد مدفونون حول هذا الضريح .

---

(١) « إمامزاده » يعني ابن الإمام ، وهو لقب يطلقه الشيعة على أبناء أئمتهم .

(٢) يقصد المدة منذ التاريخ المذكور إلى وقت تأليف الرسالة .

ويرى في الصورة شخص يشير إلى باب المنزل الذي ولد فيه السيد جمال الدين وهو صفات الله بن ميرزا لطف الله بن أخت السيد جمال الدين نفسه .

أسد آباد في ١٥ من شهر آبان عام ١٣١١ هجرية شمسية الموافق عام ١٩٣٢ ميلادية

وقد استشهد جده الأكبر في نفس سنة ٨٦٢ هـ كما استشهد هو وأجداده العظام .

والمهم أنه أسد آبادى وأن شمسه قد طلعت وأشرق نورها من برج الأسد[1] .

وكان آباؤه وأجداده من السادات جليلي القدر ، عظيمي الشأن ، فكان كل واحد منهم على قدر مرتبته ، ذا نصيب وافر ، وقدر راسخ من العلوم والفضائل .

وكانوا مشهورين في هذه الولاية بالرفعة والعظمة ولذلك ذكرت أسماء بعضهم – على ألواح قبورهم – بالتجلة والاحترام مثل : « نخبة الأكابر ومنقبة الأخيار جلال الدولة والدين السيد الصالح السعيد الشهيد الملقب بشيخ الإسلام والمنسوب بقاضي » .

وهم يعرفون في أسد آباد باسم طائفة « شيخ الإسلام » وفضلا عن مراتبهم العملية ، فإن بعضهم قد اشتهر – أيضاً – بحسن الخط : مثل عم السيد جمال الدين مير زكي ، وخاليه ميرزا جلال وميرزا جواد الذين يطول بنا المقام إذا تعرضنا لشرح أحوالهم . وكان أبوه وأمه من أصل واحد .

وقد كان – ولا يزال – لخواص هذه الولاية وعوامها اعتقاد تام في شرف أسرتهم الجليلة وكرامتها ، واعتماد كامل عليها لأنها كانت ملجأ الأهالي عامة منذ قديم الأيام ، كما كان لها احترام فائق لدى حكام العصر وأعيانه وأشرافه . ولازالت

---

(١) يقصد أسد آباد .

نظرة الناس إليهم تحمل هذا الطابع إلى وقتنا هذا من الكبير والصغير والغني والفقير .

وينسب البعض إلى سلسلتهم الجليلة الكرامات وخوارق العادات التي تتناقلها الألسن .

وكان والده الماجد مزدانا بجمال فنون العلوم والفضائل الظاهرية والمعنوية ، كما كان هذا السيد المتواضع الخجول ساكتا صامتا ، ذا أخلاق حميدة ، وزهد وورع ، وعذوبة لسان ، وكان معاصرا ومعاشرا للمرحوم الشيخ مرتضى[1] – طاب ثراه – وقد عهد إليه الشيخ مرتضى أمر فتاوى المسلمين ، ولكنه كان لا يشغل نفسه بأمور الدنيا ، كما كان يتجنب الوساطات ويقنع بما تدره عليه مزرعته ، وحديقته الصغيرة ويستعين به في أمور معيشته ، وكان صديقا لأكثر العلماء المعروفين المعاصرين ، ويكفيه فخرا أن يكون أبا ومربيا ومعلما لابن مثل السيد جمال الدين .

وهو السيد صفدر بن السيد علي بن مير رضى الدين محمد الحسيني شيخ الإسلام ابن مير زين الدين الحسيني القاضي ابن مير ظهير الدين محمد الحسيني شيخ الإسلام ابن مير أصيل الدين محمد الحسيني شيخ الإسلام .

وأما والدته الماجدة فهي السيدة سكينة بيكَم بنت مير شرف الدين الحسيني القاضي الذي تتناقل الأفواه فضله وعلو مرتبته ، وقد كان أخا لمير رضى الدين وهما ابنا مير أصيل الدين . وقد كان لهما إخوة أفاضل آخرون .

وكان مولد العلامة السيد جمال الدين الأسد آبادي في شهر شعبان من عام ١٢٥٤ هـ . وقد اشتق اسمه من الخبر المأثور : « إن الله جميل ويحب الجمال » ، ولم يلبث أن ذاع صيته في المشرق والمغرب ، فصار يعرف في الأقطار الشرقية باسم « حكيم الشرق » وأصبحت تجله الملايين في مصر والهند والسودان وإفريقية

(١) هو الشيخ مرتضى الأنصارى الششترى الذي يعده الشيعة من علماء رأس المائة ، وقد بلغ فى الفضل درجة جعلته إماما يقتدى به كل من جاء بعده من العلماء والمجتهدين ، وله مؤلفات كثيرة ، أهمها : الرسائل فى الفقه .

وما بين النهرين وبلاد الروم وبلاد الأفغان ، بيد أننا نحن الإيرانيين لانزال نجهل حقيقة حاله ، وعلو مرتبته ، وسمو منزلته ، بينما هو يعد المجدد الخبير ، والحكيم البصير .

وإذا أراد المصلحون ، والوطنيون المخلصون أن يطلعوا على آثاره ، فليطلبوا من بيروت ومصر الأعداد الثمانية عشرة من مجلة « العروة الوثقى » حيث توجد المقالات الجمالية جميعها ، و« الرسالة النيجرية » في الرد على الدهريين ، و « الحجة البالغة » و « حملة القرآن » و « تاريخ الأفغان » و « فلسفة الدين واللغة » و « مشاهير الشرق تأليف الشيخ محمد عبده » و « تاريخ الإمام » في أربعة مجلدات ، و « بيانات ميرزا محمد باقر خان بواناتي الملقب بإبراهيم خان معطر » ، وقد نشرت جميعها في بيروت ومصر ، وليطلعوا عليها حتى يدركوا رفعة مقام ذلك النابغة الفذ الذي كان وحيد عصره في الممالك الإسلامية ، ويحيطوا بما بذله من جهود في هذا السبيل .

ويروي صفات الله بن ميرزا لطف الله خان مؤلف هذا الكتاب أن السيد جمال الدين لم يتزوج ، ولم يقبل على الأمور الدنيوية ، وكان يفضل أن يعيش عيشة متواضعة .

وكان له ابنا أخت هما ميرزا لطف الله خان - الذي ورد ذكره - وميرزا شريف خان ، كما كان له ابن أخ يدعى السيد كمال الدين .

وقد أغفلنا للأسف الشديد قدر ذلك المصلح الكبير الذي يعتبر باعث نهضة العالم الإسلامي عامة إلى درجة أننا صرنا لانعرف ما إذا كان إيرانيا أم أفغانيا ، وهو أمر يدعو إلى التعجب حقا .

٢ - نشأة السيد الأولى وتحصيلاته في قزوين

ونعود إلى موضوع بحثنا فنقرر أن السيد جمال الدين ظل في المنزل حتى العاشرة ، وكان يتلقن دروسه الأولى تحت إشراف أبيه ورعايته ، فقرأ القرآن ، وحفظه في بضعة شهور ، كما درس مبادئ اللغة العربية وأتقنها جيداً .

وكان منذ صباه ولعا بالمناقشة في المسائل الدينية ، ومحاولة تفسيرها وإدراك كنهها ، وكان يزداد سرورا كلما بلغ الغاية فيها ، وكان والده يشجعه على ذلك ، ويحفزه على مواصلة السير في هذا الطريق ، فكانت هذه الظاهرة واضحة فيه منذ نعومة أظفاره ، حتى روي أنه كان يكتفي بقراءة بعض الأبواب من الكتب العربية ، ثم يقوم بتدريس الباقي لزملائه ، كما يشهد بذلك ابن خاله العلامة حاج سيد هادي الأسد آبادي الذي لايزال على قيد الحياة[١] .

وصفوة القول : إنه كان أعجوبة في ذكائه ، وقوة حافظته ، وقد ساعده هذا على سرعة تبحره في العلوم الإسلامية المختلفة . وكانت الأسفار هي الهواية المحببة إلى قلبه منذ صغره ، فقام بأسفار متعددة إلى الهند ومصر والبلاد العثمانية وأوروبا .

ولما أحس والده فيه الميل إلى العلم حمله إلى قزوين في عام ١٢٦٤ هـ ، وكان إذ ذاك في العاشرة من عمره ، فمكث عامين في مدرستها تحت رعاية والده الذي كان يعمل مدرسا بها ، وبلغ من شغفه بالعلم أنه كان لا يستريح يوما ، ولا يخرج للتنزه حتى في أيام الأعياد ، مكتفيا بالتسلي بكتبه التي كان يعكف عليها ليل نهار .

وكان ينتهز الليالي القمرية التي يتلألأ فيها القمر ، ليصعد إلى أعلى داره ، ويأخذ في دراسة النجوم .

---

(١) كان حيا في وقت تأليف هذا الكتاب ، أي منذ سبعة وعشرين عاماً .

ومن عجيب ما يروى عن ولعه بالعلم أن وَباء أصاب قزوين في السنة التالية لوصوله إليها ، وكان هذا الوباء شديدا بحيث قضى على كثير من أهلها فحاول السيد جمال الدين – وكان إذ ذاك في الحادية عشرة من عمره – أن يدرك أسباب هذا الوباء عن طريق دراسة أجساد الموتى ، الأمر الذي دفع والده إلى الانتقال به إلى طهران .

* * *

obeikandl.com

٣ - وصول السيد إلى طهران مع والده لأول مرة كما حكاه هو لابن أخته

« وصلنا إلى طهران في أوائل عام ١٢٦٦ هـ ، ونزلنا في محلة « سنكلج » ضيفين على سليمان خان المعروف بصاحب اختيار الذي كان - وقتا ما - حاكما على بلدتنا أسد آباد . ثم سألت عن أكبر علماء طهران في ذلك الوقت . فقيل إنه « أقاسيد صادق » ، فتوجهت إلى مجلس درسه في اليوم التالي دون أن أخبر والدي بذلك ، فوجدته جالسا بين طلابه يقرأ كتابا عربيا ، ويشرح مسألة من المسائل العلمية ، ولاحظت أنه شرحها شرحا مقتضبا ، فطلبت منه أن يعيد شرحها بصورة أكثر تفصيلا ، حتى يتفهمها الجميع ، فتعجب الشيخ من جرأتي ، وفضولي ولكني أجبته بأن طلب العلم لا فضول فيه ، ثم قمت بقراءة تلك المسألة وتفسيرها ، فتحرك الشيخ من مكانه ، فظننت أنه يريد بى شرا ، ولكنه أقبل علي ، وضمني إلى صدره وقبلني ، ثم أرسل إلى والدي يستدعيه ، وأمر أن تشترى لي عباءة وعمامة ، وأن يلبسوني العباءة ، ثم قام هو بلف العمامة ، ووضعها بيده فوق رأسي ، وكنت حتى ذلك الوقت ألبس قلنسوة ، ولا ألبس عمامة » .

* * *

٤ - سفر السيد مع والده إلى العتبات بالعراق وتتلمذه على الشيخ مرتضى

واستضافهم السيد صادق في منزلة بضعة أيام ، وانتشر خبر ذلك في طهران ، فاغتنم كثير من العلماء الفرصة ، وحظوا بمقابلته .

وفي تلك السنة - أي في سنة ١٣٦٦ هـ - سافر مع والده إلى العتبات المقدسة ، وكان سفرهما عن طريق بروجرد ، فلقيا في بروجرد من التكريم والاحترام ما لقياه فى طهران ، فقد رحب بهما المرحوم الحاج ميرزا محمود المجتهد ، وكان رجلا فاضلا عالما ، وقد أعجب بالسيد فاستضافه هو ووالده ثلاثة أشهر تقريبا ، ثم وصلا بعد ذلك إلى العتبات فقاما بزيارة قبور الأئمة الأطهار ، وتشرفا بعد ذلك بمقابلة الشيخ مرتضى فلما علم بمنزلة والد السيد في العلم والفضل ، واستعداد السيد وذكائه عين لهما منزلا خاصا .

وظل السيد أربع سنوات في الدراسة والتحصيل أكمل فيها تحصيل العلوم المختلفة من تفسير وحديث وحكمة ومنطق وأصول وعلم كلام ، وعلوم عقلية ، وفلسفة إلهية ، وطبيعية ، ورياضية ، وطب ، وتشريح ، وهيئة ونجوم .

أما والده فقد استأذن في العودة إلى أسد آباد بعد بضعة شهور ، فأذن له الشيخ مرتضى ، وأجاز له أن يروي عنه الأحكام لكل من يريد فتوى في الدين ، وتعهد الشيخ مرتضى بنفقات السيد في المدة التي يقضيها في النجف بالعراق .

وقد أبدى السيد تفوقا عجيبا في أثناء المدة التي قضاها ، وعرف عند علماء النجف وكربلاء وسامراء ، وذاع صيته بالتدريج في كل ناد ومحفل ، وانقسم الناس في شأنه قسمين ، قسم يؤيده ، وقسم يخالفه ويحقد عليه ويشيع حوله الشبهات والظنون ، وكان رجال هذا القسم يجادلونه أحيانا في حضرة الشيخ مرتضى ، ولكن الشيخ كان يؤيده ويعطف عليه كثيرا ويكتب لوالده مثنيا

على ذكاء ابنه ، ومبشرا إياه بمستقبل عظيم له . وأخيرا دبر جماعة من علماء السوء مكيدة للسيد ، وعلم الشيخ مرتضى بحقيقة نواياهم ، فأرسله مع شيخ جليل القدر إلى الهند ، وأوصى به أتباعه ومريديه هناك ، وكان السيد حينذاك فى السادسة عشرة من عمره حينما وصل إلى بمباي في سنة ١٢٧٠ هـ .

* * *

obeikandl.com